

**وجه غبطة البطريرك صفير امس، رسالة الميلاد الى الموازنة
والمسيحيين واللبنانيين، وعنوانها "الكلمة صار جسدا وحل فينا"
(يو: ١٤: ١)، وهنا نصها:**

"الكلمة صار جسدا وحل فينا" (يو: ١٤: ١).

١- يعود الينا عيد الميلاد، وهو لا يحمل بهجة العيد البشرية، غير ان بهجته الروحية باقية، لا بل انها متوهجة اكثر من ذي قبل. وهذا هو الالم. ذلك ان بهجة الارض تبقى في هذه الارض وهي عابرة، وغالبا ما تورث المرارة والاسف. عيد ميلاد الرب يسوع بالجسد حقق للناس حلمهم القديم الذي ولد مع الانسلان الاول، وهو حلم ينتقل الى كل منهم جيلا بعد جيل. هذا الحلم هو الرغبة في الخلود. هذا ما فطر عليه الانسان منذ ان كان. والخلود الذي هو من خصائص الله يعني التشبه به تعالى من حيث الديمومة، والبقاء، والاستمرار، وبالتالي مشاطرة الانسان كينونة الله. افما هذا ما اعرب عنه الانسان الاول عندما اكل من ثمرة الجنة المحرمة نزولا عند رغبة الحبة التي خدعت المرأة الاولى بقولها: "الله عالم انكما في يوم تأكلان من ثمر الشجرة التي في وسط الجنة) تتفتح اعينكما وتصيران كآلهة عارفي الخير والشر". وكانت المعصية الاولى التي استوجبت لنا المخلص، على ما قال القديس اغوسطينوس: "ما اسعدها خطيئة استحققت لنا مثل هذا المخلص".

٢- تجسد ابن الله لكي يخلصنا وبصالحنا مع ابيه السماوي، على ما يقول يوحنا الانجيلي: "ان الله هو الذي احبنا وارسل ابنه كفارة عن خطايانا؛ ولكي نعرف انه احبنا، حتى انه بذل ابنه الوحيد كي لا يهلك كل مؤمن به، بل تكون له الحياة الابدية"؛ ولكي يكون لنا مثالا في قداسة السيرة وسلامة المسلك، على ما قال: انا هو الطريق والحق والحياة، وما من احد يأتي الى ابي الابي؛ ولكي يشركنا في طبيعته الالهية، على ما يقول القديس بطرس: "وهبكم (الله) المواعيد العظيمة الكريمة، لتصيروا شركاء في الطبيعة الالهية. وهكذا حقق حلم الانسان القديم. ان القديس اريناوس يقول: "هذا هو السبب الذي من اجله صار الكلمة جسدا، وصار ابن الله، ابن الانسان، لكي، اذا ما دخل الانسان في شراكة مع الكلمة، وقبل التبني الالهي، يصبح ابن الله". وهذا ما كده. بعبارة اخرى مختصرة، القديس انتاسيوس، عندما قال: "صار ابن الله انسانا لكي يجعلنا الله". وتبنى هذه الفكرة المعلم الملائكي، القديس توما الاكويني، بقوله: "اراد ابن الله الوحيد ان يجعلنا شركاء في الالوهة، فأخذ طبيعتنا، لكي، بعد ان صار انسانا، يجعل الناس آلهية".

٣- ولكن كثيرا من الناس لا يدركون هذه الحقائق اليمانية، او هي لم تصل اليهم على ما هي من الوضوح، او انهم يتجاهلوننا عن قصد وتصميم، او لا يطبقونها في حياتهم اليومية؛ ولو كانوا يدركونها ويطبقونها، لما كانوا يتصرفون كما هم يتصرفون، ولما كانت الحروب تحصد من تحصد من الناس، وقد خبرنا ويلاتنا على ارضنا، ولا نزال نراها مشتتة حولنا منذ اكثر من نصف قرن، وقد انتقلت منذ زمن غير بعيد الى بلد آخر في منطقتنا، وازدادت نارها تأججا واضطراما، ولما كان الجوع يودي بحياة الكثرة من البشر، فيما هناك قلة

منهم تستأثر بكل ما ترغّب فيه من متاع الدنيا، دون ان تبالي بسواها من المعتمدين. وهذا هو السبب الاساسي لما ينتشر في الدنيا من ارهاب ادى بالذين يمارسونه الى اليأس فحملهم على سلوك من هجرت قلوبهم مخافة الله، وغاب عن ادراكهم يوم الحساب.

٤- اجل بهجة العيد البشرية غائبة. وكيف السبيل اليها، وغالبية المواطنين تشكو من فقدان فرص عمل، وبطالة متمادية، وضيق ذات اليد، وهي شكوى تتصاعد من فئات كبيرة من كل الناس الكادحين. وهم يتألمون عندما يرون اضرابا تدعو اليه وتقوم به ارقى طبقة من طبقات المجتمع اللبناني، وهي طبقة اساتذة الجامعة اللبنانية. وكاد ينقضي على هذا الاضراب ما يقارب الشهر من الزمن، ولم يلق بعد الحل المطلوب، فيما الطلاب الجامعيون يحتجون بغضب قائلين: "هذا وقت مهودر كيف في امكاننا ان نستعيده". وقد اصغينا الى المسؤولين عن القطاع الصناعي الذي يشكو اصحابه احتكار قلة من المواطنين او الشركات بعض الموارد او الوسائل التي هم في حاجة اليها، ليقفوا على مزاحمة البضائع الاجنبية التي تغزو عقر دارهم. ومعظم الشكوى تتأتى عن غلاء اسعار الكهرباء، والغاز، والهاتف، واليد العاملة، فيرون غيرهم من المحتكرين يحققون ارباحا طائلة على حساب بوار القطاع الصناعي. وكذلك القول عن قطاع الزراعة. ولو كان المسؤولون قد نفذوا اتفاق الطائف في ما خصّ اللامركزية وعمدوا الى تنمية المناطق اللبنانية وبخاصة القرى لتبقى أهلة عن طريق مداها بمقومات العيش الكريم من مدرسة ومستوصف ومصنع، لما كانت تتخذ المدن عندنا وبخاصة العاصمة المكتظة، هذا الوجه النافر.

٥- اما ما يحدث من خلافات على صعيد اهل الحكم، فلا نتوقف عندها، وقد اصبحت اسبابها معروفة. وهي فقدان المواطنين كل وسيلة من وسائل المساءلة بالنسبة الى من يتولون السلطة عليهم. وذلك بعدم احرارهم القدرة على الحصول على قانون انتخاب يفسح لهم في المجال لاختيار من ينوبون عنهم في سنن القوانين، ورسم سياسة البلد، وتأمين مصالحه المشروعة، فأصبحوا كأنهم غرباء عما يعينهم من شؤونهم المباشرة. وهذا جنوح كبير عن جادة الديمقراطية الصحيحة، وتتكسر لابس حقوق المواطنين وخروج على المؤسسات الحكومية السليمة، وهكذا نرى الشلل قد اصاب الكثير من المجالس كالمجلس الدستوري، والمجلس الاقتصادي، والادارات العامة كالنقش المركزي الذي يكتب التقارير ويشير الى مواطن الخلل، وليس من يأبه لها. واذا بارادة الوزير هي النافذة عندما يؤكد امرا يخالف القوانين وبحشر الازلام والمحاسيب في وظائف لا مؤهلات لهم تمكنهم من الحصول عليها والقيام بموجباتها. وهذا ما هو سبب الخلل الكبير، فيما الاخطار لا تزال تتهدد لبنان الذي قد يصبح ساحة المعركة، وهو الحلقة الاضعف، اذا ما اندلعت نارها، لا سمح الله.

٦- ولكننا، رغم هذا الخلل الذي يشل آلة الحكم عندنا، لا نزال نأمل خيرا في أن تقوم في لبنان طبقة من الشباب من كل الطبقات والطوائف تعي مسؤولياتها الوطنية، وتتخرط في احزاب وطنية سليمة يتسع نفوذها الى ارض الوطن بكامله، وترسي آلة الحكم عندنا على قواعد ثابتة من التجرد، والكفاية، ونظافة الكف، والسعي الى تحقيق ما فيه خير المواطنين، والزهد في المصلحة الفردية الضيقة الخاصة، والارباح الشخصية الخسيسة، وتمكن البلد من استعادة مقعده تحت الشمس، وفي مجموعة الامم السيدة، الحرة، ذات السيادة التامة، والاستقلال الناجز غير المرتهن.

وعلی هذا الامل، نسال الله، بشفاعة العذراء مريم، ان يجعل من عيد مولد ابنه الوحيد بالجسد، موسم خير وبركة وسلام على منطقتنا وعلى العالم اجمع، وان يعيد العديد من امثاله على جميع اللبنانيين، مقيمين ومنتشرين، وهم في احسن حال واهناً بال، وان يشملهم جميعاً برضاه وبركاته".